

## مفهوم جديد للشخصية الروائية في "اللجنة" لصنع الله إبراهيم

البروفيسور صلاح الدين تاك

الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة كشمير، سري نغر

سجاد أحمد مير

باحث الدكتوراة بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة كشمير، سري نغر

شهدت الرواية تحولات كثيرة في الشكل والبناء على يد الروائيين الجدد بحيث تحول مفهوم الرواية التقليدية كله، فحبيكتها ليست كما كانت في الرواية التقليدية ولا زمنها زمناً ولا مكانها مكاناً ولا شخصيتها شخصية، بل إنّ أبرز العناصر في الرواية الجديدة هي الشخصية التي تغير مفهومها تغيراً جذرياً. إذا كانت الشخصية في الرواية التقليدية كائناً حياً فاعلياً، فإنّها في الرواية الجديدة ليست كائناً حياً إلا على الأوراق، ليس لها من وراء ذلك حقيقة ولا وجود، لا اسم لها ولا ملامحها أن تعرف بها، فالشخصية الرئيسة ليس بطلاً كما كان في الرواية التقليدية، بل إنها كما حددها خليل برويني "رجل عادي لا يحمل اسماً وعنواناً، والحال نفسه بالنسبة للشخصيات الثانوية التي تبقى مسطحة حتى نهاية الرواية. وليس لها ملامح غير أسمائها أو غير وظائفها المحددة" إنّ شخصية في الرواية الجديدة هي شخصية ضعيفة فاشلة لن تستطيع أن تواجه شر نفسها، وما لها قوة أن تقاوم القمع والظلم في خارج العالم. ليس هذا فحسب، بل إنها لا تحقق كثيراً من أهدافها ولا يمكن لها أن تقرر مصيرها وغايتها. ليست عندها قضية كبيرة أن تحلها أو غاية مهمة لتجتهد من أجلها ما يعينها إلا ذاتها وأهواءها وهواجسها ومشاعرها. فأهم قضاياها هي القضايا النفسية والجسدية والفكرية وما إلى ذلك. فهذه الشخصية أصبحت مسيطرة على أكثر روايات الجيل الجديد، ومن الروائيين الجدد الذين يهتمون بمثل هذه الشخصية الروائي صنع الله إبراهيم حيث نجد مثل هذه الشخصية في معظم رواياته ولا سيما الرواية التي يساق عنها الحديث وهي رواية "اللجنة".

قد تشترك الشخصيات الرئيسية في أكثر روايات صنع الله إبراهيم خصائص "البطل المضاد" [anti-hero] أكثر من خصائص "البطل" كما كان معروفاً في الرواية التقليدية، بحيث هو رجل أو امرأة قادران على الأعمال البطولية التي نجد فيها بطلاً قويا وشجاعاً وذوي الوظائف المهمة التي تتمحور حوله جميع أحداث الرواية وله دور كبير في وقوع الأحداث عند كاتب الرواية. وبالعكس على ذلك أن كلمة "بطل" لا تحمل أي دلالة للفضيلة أو الشرف في مصطلحات الأدب عند أكثر الروائيين الجدد بل تشار إلى الشخصية الرئيسية في العمل الروائي الجديد. وكذلك تظهر في الرواية الجديدة تظهر ظاهرة الشخصية الأخرى يقال له "البطل المضاد" [anti-hero] يعني شخصية فقدت الصفات البطولية التقليدية مثل المثالية والشجاعة والأخلاق فهو رجل أو امرأة يتعرض للفشل والذلة والانحطاط مثل أي إنسان عادي. وبذلك كله أصبحت هذه الشخصية نموذجاً لمعظم الروايات الحديثة بعد منتصف القرن العشرين وحتى يقترح النقاد الروائيين أن يصوروا في رواياتهم بطلاً من نوع جديد ليس فيه من البطولة سوى اسمها، ولا ينفرد بتلك الفضائل التي كانت تميز بها أبطال الروايات في القرن التاسع عشر ورواية مطلع القرن العشرين.

<sup>1</sup> خليل برويني، بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الرابعة - العدد الرابع عشر - صيف ١٣٩٣ ش / حزيران ٢٠١٤ م

<sup>2</sup> [A man or woman given the vocation of failure], J. A. Cuddon (1992), The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory, 3rd edition,

الشخصية الروائية عند صنع الله إبراهيم: إنّ صنع الله إبراهيم يقدم في رواياته شخصيات مختلفة تنتمون إلى مجالات عديدة من الحياة، فأكثرهم المثقفون مثل الكاتب والصحافي والسجين السياسي. على أنّ أكثرهم تعكس حياته وافكاره وتجربته السياسية وأحيانا تتكلم في نفسه، وبهذا السبب يقال عن رواياته أنها تشتمل على سيرته الذاتية بما فيها التأثير الظاهر والبارز من ظروف حياته. فمثلا تمثل الشخصية الرئيسية حياة الكاتب في رواية "تلك الرائحة" حيث تبدأ الرواية بخروج الشخصية الرئيسية من السجن بعد السنوات كمثل صنع الله إبراهيم الذي قضى خمس سنوات في السجن قبلها. وكذلك شخصية الصحافي في رواية "اللجنة" التي لا تقدر ولا تسمح أن ترد على أسئلة اللجنة حقا صحيحا وشخصية السجين السياسي في رواية "شرف" التي تمنع أن تبين القمع والفساد والخيانة في المجتمع التي تمثل في الحقيقة كاتب هذه الروايات في نفس الحال بالنسبة للمثقفين والسجناء والشعب الذين عاشوا في زمن الرئيس جمال عبد الناصر وأنور سادات. ومن الميزات الأخرى التي امتازت بها روايات صنع الله إبراهيم هي أن شخصياتها عاجزة وفاشلة في حصول غايتها، لأنهم يعيشون الحياة لا مقصود لها ولا معنى لها، لا تقدر على أن ترتبطوا بالحياة ولا تستطيعون أن تواصلوا بالناس، إن حياتهم غير عاطفية جافة، وهم لا يبالون عنها. إنهم دائماً خائفون معتقدين بأن هناك أحد يراقبهم في كل مكان. إنهم يلعبون دورا ناقدا اجتماعيا شاهدين على كل ما يجري في مجتمعهم وبلدهم.

إنّ رواية "اللجنة" رواية رمزية كتبت عن سياسات انور السادات الاقتصادية خلال السبعينيات تسمى بـ "الانفتاح" تعبر عن تجربة الإهانة والترهيب على يد السلطة للمثقفين. لقد تبدأ هذه الرواية مع ذهاب الراوي يعني المؤلف كما يعتقد الأكثر إلى اللجنة بإرادته الحرة، في حين أن سبب ذهابه إليها ليس واضحا وفي أثناء قراءة هذه الرواية نحن نعلم أنها لجنة قوية ذو أثر ونفوذ ويريد الراوي ارضائها على كل حال فهو يقضى عاما واحدا كاملا يستعد من أجل لقاءها، فهو يبرع لغة اللجنة ليفهم قواعدها وضوابطها ولكنه لا يعرف ماذا سيسأل عنه. خلال المقابلة إنه يواجه سلسلة من الأسئلة المضحكة من قبل أعضاء اللجنة. إن جميع هذه الأسئلة كانت غامضة، بل كانت مطالها غير منطقية، حتى يعلم بأنه يجب أن يكون لكل شيء معنى عند اللجنة. بالنظر الى أهمية هذا الأمر إنه يحاول محاولة جيدة للإجابة على أسئلتها. وبعد المقابلة أمام اللجنة إنه ينتظر الحكم منهم ولكنه بعد عدة شهور يتلقى برقية من اللجنة التي تقول: "نتنظر بحثا عن ألمع الشخصية العربية المعاصرة." ولم يجد هو في هذه البرقية اشارات إضافية عن هذه الشخصية العربية المعاصرة. ثم إنه سعى عن بحثها في دور الصحف والمجلات ودور النشر فلا وجد له اسما غير اسم الدكتور ولا شرحا بأي دكتور يقصد هذا؟ فهل هو دكتور أكاديمي، أم مُجَرَّد لقب فخري. خلال هذا التحقيق وجد بعض الوثائق السرية وتقارير التأمير تتعلق بأعضاء اللجنة فإذا تخبر عنها اللجنة أصبحوا ساخطين على الراوي وفي الملاقاة اللاحقة حكمته اللجنة بأكل نفسه عقابا له.

إن "اللجنة" تمثل سلطة مجهولة تحدد مصير الناس وتوجه أذهانهم وأفعالهم توجهها ذاتيا. والأسئلة التي تطرحها اللجنة على الراوي، والمعاملة الإنسانية التي تلقاها هذا الراوي أثناء مقابلته الذاتية منهم تؤثر على حياته وافكاره وسلوكه وشخصيته أثرا عميقا شديدا. وهذه الإهانة خلال مقابلته معهم تحدد مجرى أحداث الرواية وتقرر مصيرها في النهاية. خلال مطالعة الرواية نجد أن المؤلف يقدم لنا صورة حية للعالم الذي يكون فيه الفرد عاجزا عن مواجهة الدولة وخائفا أمام السلطة ومغلوبا على أمره. فهو العالم الذي يتبع طريقة كافكا وأسلوبه في تسلسل أحداثها كاشفا لنا كيف يُجبر شخص على الاستسلام للمعيار ما هو مقبول لدى المجتمع ومفسرا كيف تفرض السلطة إرادتها وحكمها على رعاياها. وهو يصور

<sup>3</sup> صنع الله إبراهيم، اللجنة، ١٩٨١

<sup>4</sup> Franz, Kafka, Austria Hungary, 1883, fantastic novelist

عن البيروقراطية الطائشة التي تهيمن على كل شيء في العالم العربي وفي مصر خاصة والقوى السرية التي توجد في كل مكانها وقد يخلق هذا العالم الكابوسي بيئة مليئة بالشك والخداع والخوف التي تسحق الفرد وتنتهي باستهلاكه.<sup>٥</sup>

يستخدم صنع الله إبراهيم السخرية لينتقد الشركات متعددة القومية والقوى السرية التي كان لها أثر كبير في مصر خاصة في أنظمتها السياسية والاقتصادية آنذاك. وهي من أنجح روايات ما تمثل حملة شرسة ضد الدكتاتورية في العالم العربي الحديث" على حد تعبير بول ستاركي "وقد يستنكر مؤلف هذه الرواية الثقافة الاستهلاكية التي أنشأتها الشركات متعددة القومية مما يظنها هو ينتج إلى التأثير السياسي في كل شؤون مصر لأنه بسبب هذه السياسات الاقتصادية أصبحت هذه الشركات حاكمة على مصر. من هنا يبدو أن الروائي يحاول كشف القوة التي تمارسها هذه الشركات على حياة الناس وتغلغلها العميق في الطبقات المختلفة من المجتمع فضلا عن الدور المركزي الذي تلعبونه في قرارات وسياسات دول العالم الثالث مثلما يحدثه في مصر. وقد يشرح المؤلف هذا الموقف من خلال الشخصية المضادة الذي يعترف بأنه "كان تحت رحمة اللجنة مطلقاً". كمثل شخصية الرواية كانت مصر أيضاً في قبضة هذه الشركات الأجنبية التي يبدو أنها تسيطر على البلاد من وراء الحجاب.<sup>٦</sup>

إن شخصيات هذه الرواية تنقسم إلى فئتين: الشخصيات الرئيسية والشخصيات الثانوية ومن أهمها:

أ. الراوي: إنها شخصية مركزية لا تُدرك له اسماً او عنواناً، تحمل خيوط الأحداث بين يديه وهو يروي بلا توقف إلا في مناسبات معينة حيثما تتطلب منه الوقوف لبعض الوقت للدخول في بعض الحوارات أو بعض الأحداث. إنه من عامة الناس، يسوقه الانشغال بالمصالح الذاتية والتقدم نحو مصاف الطبقات النافذة والمسيطرة، وقد يدفعه إلى هذا السلوك قوة غيبية لا يستطيع يقاومها فهو يذهب إلى اللجنة مجبراً وراغباً في ذلك معاً.

إن كل ما يمكننا معرفته عن هذه الشخصية، هو ما نلاحظه من إتباع أفعاله وحواره طوال الرواية. يقودنا إلى الاستنتاج بأنه شخصية سلبية التي يقدمها المؤلف بوظيفة أن يقوم رمزا لمعاناة المثقفين في كل منطقة عربية وخاصة بما يعانونها في مصر آنذاك، وكان عجزه ومصيره الذي فرضته عليه اللجنة رمزا لضعف مصر في مواجهة القوى العالمية المستغلة. إضافة إلى ذلك إنه يلعب دوراً أساسياً في إلقاء الخطاب الساخر من خلال الوصف والسرود والحوار الذي يشتمل على إجاباته عن أسئلة اللجنة مما يمكن له أن يعبر عن سخطه للواقع بمرارة وتهكم ومع أن ليس عند هذه الشخصية قوة مثالية كالبطال الذي يستطيع أن يغلب على ظروفه وينتصر لمبادئه. بحيث يتعرض للاستفزاز والإهانة طوال المقابلة، وعلى الرغم من انتفاضته اللاحقة ضد اللجنة بقتل أحد أعضائها، أنه لا يزال يستسلم لحكمهم. فقد ينتهي قصته بتراجيدية ورمزية عندما حكمت عليه اللجنة بأقصى عقوبة وهي "أن يأكل جاني نفسه" فهو يجلس في بيته ليأكل نفسه. وهذه النهاية يحاول المؤلف مفاجأة القارئ لجعله يشعر بالعجز والاستسلام الذي تغرسها السلطة السياسية في أذهان المثقفين والمواطنين بشكل عام.<sup>٧</sup>

ب. الدكتور: إن من الأسئلة التي طرحها اللجنة على الراوي كانت من البحث عن الشخصية اللامعة العربية لهذا القرن

<sup>٥</sup> Salma Khadra jayyusi, modern arabic fiction, Columbia university press, 2005

<sup>٦</sup> صنع الله إبراهيم، جماليات السخرية في رواية اللجنة، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير ورشة الفكاة والسخرية لأيام الدراسية ٢٨  
٢٩ ماي ٢٠١٠

<sup>٧</sup> صنع الله إبراهيم، جماليات السخرية في رواية اللجنة، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير ورشة الفكاة والسخرية لأيام الدراسية ٢٨  
٢٩ ماي ٢٠١٠

الذي له أهمية كبيرة في المجتمع العربي والذي يلعب دورا مهما في المجتمع، فشخصية الدكتور نتيجة وجواب لهذا البحث والسؤال. وقد فتش عنه الراوي في دُور الصحف والمجلات ودور النشر فلا وجد له اسما غير اسم الدكتور ولا شرحا بأي دكتور يقصد هذا؟ فهل هو دكتور أكاديمي، أم مُجَرَّد لُقْب فخري؟ إنما نعلم من الحوار بين الراوي واللجنة حول شخصيته وما يوصف به في الصحف والمجلات أن شخصية الدكتور ينتهي الي طبقة البرجوازية التي تصعد الى أثر ونفوذ خلال هذه الفترة المضطربة سياسيا وكان لشخصية الدكتور أثر عميق في سياسيات دولة مصر حيث لعب دورًا مهمًا في إقامة علاقات مصر مع الدول القوية في العالم، وقد ساهمت مساهمة كبيرة في مساعدة شركات الأدوية الأجنبية على ازدهارها في مصر وشخصيته رمز للقمع الساسي والاستغلال الاقتصادي على الطبقات العسرة والهامشية.

ج. أعضاء اللجنة: إن لشخصيات من أعضاء اللجنة دورا كبيرا ومهما في مسار الرواية رغم أنها لا تحمل أسماء أو ملامح تعرف بها. فمن المعلومات التي نحصلها عنهم من خلال الحوار والأحداث تصور لنا بأنهم شخصيات ينتمون الى الطبقة البيروقراطية وكانوا ينتسبون الى شتى مجالات الحياة، فمنهم من يتعلق بالمؤسسات الأمنية ومنهم من ينتمي الى المؤسسة المخابرة وأيضا تشمل على عسكريين سابقين ونخب سياسية. تلعب أعضاءها دورا مشتركا للجنة التي أصبحت حاکمة ونافذة وقادرة على إصدار الأحكام، وإحداث التغييرات، وصياغة وعي الجماهير. وُما إلى ذلك. على هذا النحو إنها رمز للسلطات الاستبدادية والقمعية التي حكمت مصر طوال الستينيات والسبعينيات وتدل على السلطة السياسية التي سلبت حرية شعبها وحقوقها، وهي اللجنة التي أفلست موارد مصر، وعرضتها لقوى خارجية أن تستغلها.

#### خاتمة

فكل ما ناقشت أعلاه يقودنا إلى استنتاج حقيقة أن هناك ثلاثة أنواع من الشخصيات يمثلون ثلاث طبقات مختلفة من الناس في مصر آنذاك. الراوي هو الشخصية المركزية في الرواية يدل على طبقة المثقفين من عامة الناس في مصر. أما شخصية الدكتور فتدل على الطبقة البرجوازية وتمثل طبقة من الأشخاص الذين أتاحت لهم الفرص والوسائل لاستغلال عامة الناس. وأما أعضاء اللجنة فإنهم يمثلون طبقات حاکمة وتنفيذية من ناحية وتدل على السلطة السياسية ورجالها من ناحية أخرى. ومن أهم نتائج لهذا البحث أن كل هذه الشخصيات سلبية، خاصة الشخصية المركزية لأنه ظل طوال الرواية عاجزًا أمام اللجنة، ولم يكن قادرًا على الدفاع عن نفسه ضد هذه المعاملة السيئة، ولم يكن قادرًا على تحقيق أكثر أهدافه، وأخيرًا في نهاية الرواية نجد أن الراوي يأكل نفسه رمزا لسلطة السياسية القاهرة التي تشهد على بأسه الشديد واغترابه الحاد.

\*\*\*